من أدب الغـــرب

للأستاذ فليكس فارس

كنت أقلب رزماً من أوراقي القديمة فعثرت على صفحتين خطهما قلمي منذ عشرين سنة حين كانت الحرب العامة تري على الدنيا آخر رجومها وتطرح بالأوشحة السوداء على هامات الأرامل والأيتام

وهأنذا أنقل للرسالة ما ورد في هاتين الصفحتين ، ولعل السريرة الحقيقية قادت يدي إليهما لنشرهما في هذه الأيام ...

* * *

« هذه قصة كلها شعور وجمال قرأتها في إحدى الصحف التي ترد إلى غرفة الاستخبارات من المناطقات الفرنسية المحتلة فوقفت عندها أنتصت منها إلى قلب الانسانية خافقاً على جبهات النار تحت وابل القنابل وهواطل الشرر

هذه صفحة كتبها إنسان يرى حساس تقوده العاصفة إلى المجزرة ليمسي قاتلا أو قتيلا

هذه قصة جندي على سفينة جريحة الحرب وعلى قلبه صرخة الانسانية أترجمها وأطرحها بين دفتات أوراقي »

حلب في غرة يناير ١٩١٨ ف... ف

وكان يوم عصيب في تامور !

بذلنا كل ما في وسعنا من جهد في المعركة ونحن الآن نتوقع صدور الأوامر للعودة إلى النار

لم نتمتع بالراحة إلا يوماً واحداً فكفانا هذا التوقف عن المراك لنشعر بانحطاط قوانا وارتخاء أعصابنا

وصلنا إلى المعسكر فأشعلنا النار وقعدنا حولها ننشد بعض الأغاني العالقة بالذكر منذ الطفولة تخيل إلينا أننا نعود إلى أوطاننا على نغمات هذه الأناشيد

وكان أحدنا يعزف على الأرمونيكا فيسود أنينها ما حولنا من أجواء عاتية تحشد عليها تذكاراتنا وآمالنا

وشعرت بيد ناعمة اللمس تمر على جبيني وسمعت صوتاً مرتجفاً حسبته في غمرات تذكاري صوت أمي الشيخة العليلة تناديني من بعيد قائلة :

— مسكين ، الولد الصغير

والتفت فرأيت ولداً لا يتجاوز الخامسة من عمره يلبس جلباباً واسعاً وقبعة صغيرة وكان يحدق بانبهار وعيناه السوداوان تلتمعان وهو يكرر قوله :

— مسكين الولد الصغير

فهتف الرفاق : آه ! هذا فرنسي صغير .

وتقدم جندي شيخ إلى الطفل فرفعه وأجلسه على ركبتيه ، وبدأ يلاطفه ويلاعبه فزالت سحابة الخوف عن سحنة الطفل فإذا هو يضحك ويلعب .

وجاء وقت تناول الطعام فقدم الجنود له شيئاً من البطاطس ، وجرعوه قليلاً من القهوة ، وكنت الفائز بإكتساب ثقته إذ قدمت له قطعة من الحلوى ، وكلمته بلغته فقال لي : إن أباه ذهب إلى الحرب ، وإن أمه ماتت منذ شهور . وكنت أترجم للرفاق حديثه ، وهو يورده بلغته ، ويدس في كلامه بعض ألفاظ ألمانية علقت بذاكرته منذ احتل الألمان مقاطعته ؛ وقال إن اسمه إميل بوفيه فأسميناه كوكو الصغير .

ولما حان وقت انصرافنا إلى مضاجعنا تمسك الطفل بي طالباً أن ينام معنا فحملته وذهبت به إلى بيته .

وعند ما اجتمع الجنود في اليوم التالي رأيت الطفل يدخل في حلقتنا مفتشاً عني وهو يقول : كوكو الصغير .

وما كان وجود القائد بيننا ليمنع كوكو من القيام بحركاته ، وألعابه . وعندما ذهبنا إلى ناحية القرية لإجراء التمرينات العسكرية لحق بنا حتى آخر حدودها .

وكان كوكو يبكر كل يوم فيقف مسلماً يرفع قبعته ثم يبادر إليّ ويمسك بيدي ليتبعني ، وأنا أمشي مع الفرقة . وبعد العودة من التمرين كان الطفل يدخل معي إلى مرقد الجنود ويلتف بطرف دثاري مستسلماً للكرى . وهكذا أصبح هذا الطفل يلازمني ملازمة خيالي؟ وما منعه تودد الجنود إليه من الاحتفاظ بتفضيله لي ، فكان يصافح رفاقي فرداً فرداً إلى أن ينتهي إليّ فيطوقني بذراعيه الصغيرتين ويقبلني تكراراً ، أنا الغريب ... أنا العدو ! ويطرح جسمه الناحل على صدري .

وجاء يوم السفر . انتهت أيام الراحة وحان وقت العودة إلى الجهاد ، فقلت للطفل وكان جالساً أمامي في الباحة الواسعة عند المساء : غداً سأسافر

قلت هذا متكلفاً السكون وفى قلبى ثورة وغضب ، فهب الطفل من مقعده معصوباً هاتفاً :

— ولكنك ستعود

— لعلنى أعود

— متى ؟ بعد غد ؟

— قد لا أعود أبداً

فصرخ الولد مذعوراً : أبداً ... لا . لا أريد ، فسوف تبقى وطوقنى بذراعيه كأنه يريد تقييدى

وامتنع كوكو ذلك المساء عن الذهاب إلى بيته فرجوت مربيته الشيخة أن تسمح له بالبقاء عندى فرضيت وقالت :

— إن أمه قد انتحرت شنقاً هنا وراء هذا الباب بعد سفر أبيه إلى الحرب ، إذ لم يقو دماغها الضعيف على مقاومة هذه الصدمة

وأمضى كوكو ليلته مضطرباً فكان يتقلب ويهذى مردداً الاسم الذى لقبته به

وعند بزوغ الفجر نهضنا من الرقاد وبدأنا بإعداد لوازم السفر على نور الشموع المرتجف ، وكان كوكو جالساً يتبع حركاتى وسكناتى بلفتاته الواجفة

ولما هممنا بالخروج هرع الطفل إلىّ قائلاً :

— ستعود

فأجبته متمالكاً روعى : أرجو أن أعود

وسحب يده الصغيرة من يدى وتولى . وبينما كنت سائراً مع رفاقى فى الساحة كان الولد يتقدم نحو مسكنه يتوقف أحياناً دون أن يلتفت إلينا

وقطعنا القرية بخطواتنا العسكرية فكانت تفتح النوافذ وتلوح منها أوجه المتفرجين عليها مسحة الوسن وفى الأعين جمود وبرود وشغرت بغتة بوصول قادم لقربى وهو يلهث تعباً ويقول :

— كو ...

وما تمكن الطفل المسكين من التلفظ بالمقطع الأخير من اسمه

ومددت يدى إليه فخنقته العبرات واندفع مرتمياً على متحدر التلة وغلبه الأسى فأخذ يفرك عينيه براحتيه

وناديته : أى كوكو الصغير

ولكن صوتى لم يصل إلى مسمعه إذ ضاعت نبراته فى صرخة القائد :

— هيا إلى الأمام !

واندفعت الفرقة إلى المجهول

الوداع أيها الصديق الصغير ، أيتها البسمة الأخيرة من ثغر الحياة ...

وبينما كان وقع خطواتنا يرن فى أذنىّ كنت أشعر بيد من حديد تربط على قلبى ، تلك يد الإشفاق على الطفل اليتيم وعلى الإنسانية وعلى نفسى !

هنريك أولكه
جندى من لانغدشروم

* * *

من يعلم ما جل بهنريك أولكه منذ عشرين عاماً ؟ لعله قضى قتيلاً يوم كتب هذا المقال . ولعله لم يزل حيًّا فى العقد الخامس من عمره ، وقد يكون ابنه جنديًّا فى هذه الفيالق الجوية فيؤمر غداً بإسقاط القنابل والغازات على المدن الآمنة

والحق أن الإشفاق قد بلغ حداً بعيداً فى آفاق الروح الإنسانية

لقد كان الرجال ينازلون الرجال حتى اليوم فتبقى النساء والأطفال فى مهامه الترمل واليتم . فعلى المدنية الراقية أن تحول دون هذه الجناية . عليها أن تحقق المرأة قبل أن ترمل والطفل قبل أن يتيم ... !

فيكس فارس

نظف كليتيك من السموم والحوامض

إذا شعرت بوجع فى الظهر أو انحطاط فى القوى أو ضعف عمومى فى الجسم أو إذا شعرت بألم الروماتزم أو تهيج فى الأعصاب والمفاصل فاعلم أن السبب هو وجود سموم وحوامض فى الكلى — وهذه السموم تؤثر على الدم وتفسده فعليك أن تنظف الكلى من هذه السموم المتروكة فيها

والطريقة لتنظيف الكلى هى أن تأخذ حبوب دونس فهذه الحبوب تذوب فى الجسم وتذهب مفعولها إلى الكلى فيطهرها من السموم والحوامض وبعد تنظف الكلى عادت إلى وظيفتها التى هى تصفية الدم من جميع السموم التى فيه

استعمل حبوب دونس لشفاء الكلى